

وطن الذاكرة

الكلية العربية في القدس

1948 – 1918

معلومات وذكريات*

صادق إبراهيم عودة**

كانت الكلية العربية في القدس رأس هرم التعليم العربي الفلسطيني في فترة الحكم البريطاني لفلسطين (1918 – 1948)، ولها طابعها الخاص في فلسطين بل في عالمنا العربي، إذ كانت تحوي صفوة من الطلبة وصلت إليها بعد سلسلة من عمليات الاختبار والانتقاء التي تقوم، في الدرجة الأولى، على قدرة الطالب العقلية والعلمية، كما كان أساتذتها نخبة من حيث الكفاءة والمعرفة. وبعد نكبة 1948 تشتت كثيرون من خريجها مع بقية أبناء وطنهم، لكنهم ظلوا يواصلون خدمة مواطنيهم في الشتات ويعملون بإخلاص في خدمة البلاد التي استقبلتهم، شقيقة كانت أو صديقة أو غير ذلك، بما عرف عنهم من أمانة واجتهاد وتفان في أداء الواجب. كما بقي بعض الخريجين في أرض الوطن يواصل عمله بالروح نفسها.

نشوء الكلية وتطورها

أنشئت الكلية العربية تحت اسم "دار المعلمين" سنة 1918¹ بهدف إعداد المعلمين للمدارس الابتدائية. وعهد الحكم البريطاني في فلسطين بإدارتها إلى أساتذة

* بمناسبة نشر هذا المقال، تدعو هيئة التحرير خريجي الكلية العربية من قراء المجلة إلى الكتابة تعليقاً على المقال وإضافة له.

** معلّم ومدير تربية سابق، وهو حالياً مترجم غير متفرغ في مكتب رئاسة جامعة اليرموك، إربد/الأردن.

¹ هشام نشابه، "الكلية العربية في القدس"، في: هشام نشابه (تحرير)، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق (بيروت: مؤسسة الدراسات

مصريين، ثم تسلم إدارتها سنة 1919 الأستاذ خليل السكاكيني الذي لم يلبث أن استقال احتجاجاً على تعيين بريطاني اليهودي هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين. وجاء بعد السكاكيني الدكتور خليل طوطح مديراً لدار المعلمين حتى سنة 1925، عندما استقال هو الآخر في إثر اضطرابات اندلعت وشاركت فيها الدار، إدارة ومعلمين وطلبة، احتجاجاً على زيارة بلفور، وزير الخارجية البريطاني وصاحب الوعد المعروف باسمه، لافتتاح الجامعة العبرية. وعندئذ استدعى المدير العام للمعارف في فلسطين، همفري بومن (Bowman)، الأستاذ أحمد سامح الخالدي ليتولى أمور الدار.² جاء تعيين الأستاذ الخالدي نقطة حاسمة في تاريخ الدار وتطورها إذ بقي، رحمه الله، يدير أمورها حتى نهاية الانتداب سنة 1948. وتقرر سنة 1925 أن تقوم الدار بمهمة أخرى، علاوة على إعداد المعلمين، هي تهيئة الطالب لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني "المترك" (Palestine Matriculation). وهو امتحان عام أصبح يُجرى منذ صيف سنة 1926 للطلبة الذين أنهوا المرحلة الثانوية كاملة، عرباً كانوا أو غير عرب، وذلك لتمكين الناجحين منهم من الدراسة الجامعية خارج فلسطين التي لم يكن فيها للعرب جامعة أو كليات جامعية. وكان امتحان "المترك" يتم بإشراف مجلس التعليم العالي، المؤلف من مختصين بريطانيين وعرب ويهود برئاسة المدير العام للمعارف البريطاني.³

وحيال هذا التطور، أصبح هناك تركيز على المواد الأكاديمية التي كان أهمها اللغتين العربية والإنكليزية والتاريخ العام والرياضيات الابتدائية، إضافة إلى موضوعات أخرى هي الجغرافيا وعلم الطبيعة العام (الفيزياء) والكيمياء التي يتقدم فيها الطلبة جميعاً لامتحان "المترك" المذكور.

ومنذ سنة 1926 أصبح في دار المعلمين صف ثانوي خامس لتأهيل المعلمين الذين كانوا يُختارون للالتحاق به من الناجحين في امتحان "المترك". ويدرس فيه

الفلسطينية، 1988)، ص 138. ويذكر مصدر آخر أن الكلية أنشئت سنة 1920. أنظر حسن

سعيد الكرمي، "العلم والتعليم والكلية العربية في القدس" (بيروت، 1995)، ص 72.

² نشابه، مصدر سبق ذكره، ص 138 - 139.

³ الكرمي، مصدر سبق ذكره، ص 72.

الطالب المواد الأكاديمية المهمة، كاللغتين العربية والإنكليزية والتاريخ مع تركيز واضح على المواد التربوية النظرية والعملية، مثل تاريخ التربية وعلم النفس وأساليب التدريس، إضافة إلى مناهج وبرامج المواد التي سدرسها المعلمون المتدربون بعد تخرجهم من هذا الصف.⁴ وكان للأستاذ أحمد سامح الخالدي فضل كبير في تأليف وترجمة عدة كتب تربوية.

بقي الأمر كذلك حتى سنة 1939 عندما حدثت نقلة نوعية أخرى⁵ في تطور الكلية العربية* إذ بدأ، أول مرة، تقسيم الطلبة إلى فرعين، العلمي والأدبي، ابتداء من الصف الثالث الثانوي أدنى صفوف الكلية. كما أضيف صف ثانوي سادس في ظل هذا التشعب أصبح يتقدم فيه الطالب للامتحان المتوسط الفلسطيني "الإنترميديت" (Palestine Intermediate) الذي يؤهله للتدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية الدنيا (حتى نهاية الصف الثاني الثانوي). وبناء على ذلك، أصبح الطالب يتقدم لامتحاني "المترك" و"الإنترميديت" على النحو التالي:

"المترك": كانت اللغة العربية واللغة الإنكليزية والتاريخ العام والرياضيات الابتدائية مواد مشتركة بين القسم العلمي والأدبي في امتحان "المترك". وأصبح الطالب في القسم العلمي يتقدم لامتحان، بالإضافة إلى المواد المشتركة، في موضوعات تخصصه وهي: الرياضيات البحتة (Pure Maths)؛ الرياضيات التطبيقية (Applied Maths)؛ مبحث المغناطيس والكهرباء؛ مبحث الكيمياء، أي في ثماني مواد. كذلك أصبح الطالب في القسم الأدبي يتقدم للامتحان، بالإضافة إلى المواد المشتركة، في موضوعات تخصصه وهي: اللغة اللاتينية؛ علم الطبيعة العام (الفيزياء)؛ الجغرافيا، أي في الخامس والسادس الثانويين للتقدم لامتحان "الإنترميديت".

"الإنترميديت": كانت اللغتان العربية والإنكليزية وعلم المنطق موضوعات ثلاثة مشتركة بين القسمين العلمي والأدبي، علاوة على مواد التربية النظرية والعملية وعلم الصحة. وكان طالب القسم العلمي يتقدم، إضافة إلى ذلك، لامتحان في الرياضيات النظرية أو البحتة، والرياضيات التطبيقية، وتاريخ العلوم والرياضيات،

⁴ نشابه، مصدر سبق ذكره، ص 140، 146.

⁵ الكرمي، مصدر سبق ذكره، ص 85.

* هكذا أصبح اسم دار المعلمين ابتداء من سنة 1927.

بينما كان طالب القسم الأدبي يتقدم، إضافة إلى المواد المشتركة، لامتحان من ثلاث مواد أيضاً هي تاريخ اليونان والرومان، واللغة اللاتينية، وتاريخ الفلسفة. ثم كان الطلبة يحصلون على شهادة تفيد بذلك إذا نجحوا في المواد كافة. وبسبب مستوى طلبة الكلية العربية فقد كانت نتائجهم في الامتحانات العامة جيدة جداً، إذا أخذنا في الحسبان مجموع عدد المتقدمين لامتحان "المترك" والذي كان يقدر بنحو 400 - 500 طالب في أواخر أيام الانتداب. وفي السنة التي تقدمنا فيها (1942) لامتحان "المترك"، حصل كل طلبة الصف في الكلية، وعددهم عشرون طالباً، على شهادة "المترك"، وكانت هذه أول مرة في تاريخ الكلية تبلغ نسبة النجاح فيها 100٪، بينما كانت نسبة جميع الحاصلين على شهادة "المترك" في فلسطين ما بين 20٪ و 25٪ من مجموع المتقدمين من عرب وغيرهم.

كان السبب الرئيسي لهذه النتيجة هو التدقيق الذي كانت تمارسه الكلية في اختيار طلبتها، إذ كانوا يختارون من الأوائل في صفوفهم، الذين أنهوا المرحلة الابتدائية الكاملة، أي الصف السابع الابتدائي في مدارس المدن والبلدات التي كانت مدارسها الحكومية تنتهي بهذا الصف، مثل بيسان ومجدل عسقلان وجنين. فقد كان تلامذة هذه المدارس يدرسون الصفين الأول والثاني الثانويين في المدرسة الرشيدية في القدس، لكنهم كانوا يأكلون وينامون في الكلية العربية. وبعد إنجائهم الصف الثاني الثانوي في الرشيدية كانوا يلتحقون بالكلية العربية. وكان يتولى نقل هؤلاء الطلبة من الكلية إلى الرشيدية ومن الرشيدية إلى الكلية، حافلة تابعة لشركة باصات عين كارم تحمل رقم 10 بحسب ما أذكر. كان طلاب الكلية. في معظمهم، يختارون من الأوائل في الصف الثاني الثانوي من المدارس التي تنتهي بهذا الصف في المدن الأكبر حجماً، مثل حيفا ويافا وصفد والناصرة وغزة ونابلس وطولكرم، ويباشرون الدراسة في الكلية ملتحقين بأدنى صفوفها وهو الصف الثالث الثانوي. وكان يجري مع الطلبة المختارين مقابلات شخصية، من قبل لجنة مؤلفة من مدير مدرستهم وواحد أو اثنين من مسؤولي إدارة المعارف، لمعرفة مدى صلاحيتهم لمهنة التعليم. كما كانوا يخضعون لفحص طبي. وبعد سنة 1940 وضعت شروط تتعلق بالعمر، وهي أنه لا يجوز أن تتعدى سن الطالب القادم إلى الكلية من الصف السابع الابتدائي أربعة عشر عاماً، وسن الطالب القادم من الصف الثاني الثانوي ستة عشر عاماً. وخلال الدراسة

في الكلية كان الطلاب يخضعون لمراقبة دقيقة، بحيث كان يتم فصل الطالب من الكلية إذا رسب في موضوع واحد في النتيجة السنوية. وفي العام الدراسي 1941/1940، كان عدد أبناء صفنا (الثالث الثانوي) اثنين وعشرين طالباً، فصل اثنان منهم في نهاية العام: الأول بسبب تقصير في الدراسة، والثاني لأسباب سياسية أمنية تتعلق بنشاط ضد السلطات البريطانية، فبقي عشرون طالباً تقدموا لامتحان "المترك" في نهاية العام، ونجحوا جميعاً كما ذكرنا سابقاً.

كانت الكلية تتقاضى رسوماً من حيث المبدأ، بواقع ثمانية جنيهات فلسطينية في الفصل الواحد، أو أربعة وعشرين جنيهاً في العام. لكن الإعفاء كان القاعدة عملياً بسبب تفوق الطلاب و/أو فقر أحوالهم. كما تميزت الكلية بوجود زي موحد لطلبتها، مؤلف من "جاكيت" أخضر على جيبه العلوي الأيسر شعار الكلية (النسر الأسود على أرضية بيضاء مستديرة)، وبنطلون صوف رمادي، وقميص أبيض، وربطة عنق خضراء من دون ألوان أخرى. وهي سمة حميدة في إذابة فوارق المظهر بين الطلبة الذين جاء أكثرهم من أسر متوسطة أو دون ذلك في السلم الاجتماعي - الاقتصادي.

لكنني لاحظت أن ارتداء الزي في الفترة التي أمضيتها في الكلية (1940 - 1944) لم يكن يطبق بدقة وحزم.

موقع الكلية ومبناها

بقيت الكلية منذ تأسيسها حتى سنة 1934⁶ في أبنية مستأجرة في حي باب الساهرة في القدس، ثم انتقلت إلى موقعها الجديد على جبل المكبر. وكان يقع قربها قصر المندوب السامي البريطاني. كما كان في جوارها مدرسة زراعية للفتيات اليهوديات، وتفصلها عن مستعمرة تالبيوت اليهودية أرض سهلة فسيحة كان عليها ملعب للغولف. وموقع الكلية الجديد هذا جميل مشرف على المدينة المقدسة ومطل على البحر الميت ووادي الأردن. ولم تكد الكلية تهناً بموقعها الجديد حتى اندلعت ثورة 1936 فاحتلتها القوات البريطانية التي أحضرت لقمع الثورة ثم انسحبت منها سنة

⁶ المصدر نفسه، ص 72. ويذكر مصدر آخر أن الكلية العربية بقيت في أبنية مستأجرة حتى سنة 1935. أنظر نشابه، مصدر سبق ذكره، ص 151.

1937. وتألف المبنى الجديد المتقن من طبقتين، فكانت الأولى تضم: غرف الدراسة؛ غرف الإدارة؛ غرفة المعلمين؛ المكتبة التي كانت تحتوي 7122 كتاباً سنة 1946؛⁷ المختبر؛ قاعة الطعام الكبرى للمعلمين والطلبة؛ غرف الغسيل مع مرافق صحية... إلخ. بينما خُصصت الطبقة الثانية لمنامات الطلبة المؤلف من خمس قاعات بلغ مجموع سعتها اثنين وسبعين سريراً. أما من بقي من طلاب الكلية، وهم في حدود عشرين طالباً، فقد استوَجِر لهم منزل قريب ينامون فيه ويدرسون الدراسة الليلية بإشراف عريف خاص بهم (تولى هذه المهمة محمود الغول، رحمه الله، مدة عامين)، لكن بقية أنشطتهم، من دراسة وأكل وغير ذلك، كانت تجري في مبنى الكلية الرئيسي. هذا علاوة على غرف الأساتذة والإداريين غير المتزوجين المقيمين بالكلية، ومنهم خلال الفترة 1940 – 1944: نقولا زيادة؛ محمد الحاج مير؛ جميل علي من الأساتذة. ومن الإداريين: هنري كنيزفتش؛ إميل حماتي؛ ضابط النظام فخري الخطيب. كذلك كان هناك غرفة للمرضى (Sick Room)، كما كانت تسمى، فيها سريران أو ثلاثة للطلبة المرضى الذين تقضي حالتهم إيواءهم إليها، وغرفة لكي الملابس وترتيبها بعد غسلها. وتألفت محتويات غرف النوم من أسرة وخزائن صغيرة، لكل طالب خزانة. وكانت الغرف نظيفة وجيدة الترتيب، والأغطية كافية تماماً. ويشرف عريف الغرفة على ذلك، وهو الذي يسأل الطالب الذي يهمل ترتيب سريره. وكان ضابط النظام هو الذي يختار العرفاء عادة من أعلى صف، أي السادس الثانوي، لكنهم في عام 1940/1941 كانوا من الخامس الثانوي وهم: حسن الدباغ (يافا)؛ أمين موافي (قليلية)؛ جميل الصالح أبو الرب (طولكرم)؛ حسني محمد حسن (قومية/بيسان)؛ جمال السكران (الرينة/الناصرية)؛ محمود الغول (سلوان/القدس).

أما غرف الدراسة فكانت جيدة المساحة والإضاءة الطبيعية والتهوية. وفي كل غرفة لوح أخضر على امتداد الجدار المواجه للطلبة الجالسين. وفي الغرفة منصة خشبية على امتداد ذلك الجدار أيضاً عليها طاولة وكرسي للمعلم. وكان لكل طالب مقعد خاص به يحتوي على درج للكتب وكرسي منفصل. وكانت تتم في غرف الدراسة أيضاً الدراسة الليلية، حيث يجلس كل طالب ليلاً إلى مقعده الذي يتلقى عليه الدروس

⁷ نشابه، مصدر سبق ذكره، ص 141.

النهارية. أمّا طلاب الصفين الأول والثاني الثانويين الذين يدرسون نهاراً في الرشيدية، فكانوا يقومون بالدراسة الليلية الإجبارية (الاستعداد) في قاعة المكتبة بإشراف عريف خاص بهم. ولم تتوفر في تلك الأيام تدفئة مركزية، لذلك كانت تستخدم مدافئ (صوبات) الكاز ليلاً في شتاء القدس البارد. وكان أحد العرفاء المشرفين على الدراسة أنانياً بعض الشيء، فكان دائماً يحمل المدفأة ويضعها قربها طوال فترة "الاستعداد"، الأمر الذي كان يحرم الطلاب الدفء الكافي. وذات ليلة عمد (الدكتور) محمد يوسف نجم في غفلة من العريف - الذي لا يزال حياً يرزق لكنني لن أذكر اسمه - إلى رفع مقبض المدفأة إلى أعلى وهي مشتعلة فارتفعت حرارة المقبض كثيراً، وجاء صاحبنا العريف ليضع المدفأة قربها، كالعادة، فتلقى لسعة حامية. أمّا هل قلع عن عادته أو عرف الفاعل؟ فالأفضل سؤال الأخ محمد عن ذلك.

وقد ألحق بالكلية بيت منفصل لسكن مدير الكلية. كما أحاطت بالمبنى الرئيسي أحواض زهور وأشجار رائعة التنسيق بسبب ما كانت تلقاه من عناية، هذا بالإضافة إلى بركة صغيرة نسبياً ضحلة فيها نافورة. وكانت مياه البركة تتجمد شتاء. ولم يكن من "الخوaja" إميل حماتي، سكرتير الكلية، إلا أن ينزل عندما يخطر له ذلك في الصباح الباكر ويحطم طبقة الجليد ويبدأ عملية استحمام في الهواء الطلق ويدلك جسمه بقطع الجليد المحطمة بدلاً من الصابون. وكم تمنيت لو احتفظت بصورة التقطت له في هذا الوضع.

كذلك حظيت الكلية بملاعب واسعة جيدة لكرة القدم وكرة المضرب. أخيراً وليس آخراً، كان هناك الحرج المسور بالأسلاك الشائكة والمحيط بمبنى الكلية بأشجاره الفتية من الصنوبر والسرو، والتي كنا نفزع إليها في أوقات الفراغ طلباً للدراسة، حيث نتوسد حجر صوان ونأخذ في القراءة في جو هادئ، مع أن القليلين منا كانوا يمارسون إحدى المحرمات، وهي التدخين الذي أحسنت إدارة الكلية صنفاً بتحظيره على الطلبة تحت طائلة العقوبة بإنذار. كنا نكبر وتكبر تلك الأشجار معنا، ولا نعلم مصيرها الآن. ولا بد من أن الكثير منها شاخ وهرم وانقرض كحال روادها وأحبائها طلبة الكلية العربية.

إدارة الكلية

كان يتربع على قمة هرم الإدارة الأستاذ المربي أحمد سامح الخالدي، رحمه الله، والذي كان يتمتع بصلاحيات واسعة، وكان مسؤولاً فقط أمام المدير العام للمعارف البريطاني. وكان بإمرة مدير الكلية جهازان يصرفان أمورها هما:

الجهاز الإداري

كان يتألف من مساعد مدير الكلية، وهو في ذلك الحين الأستاذ حبيب الخوري (كفر ياسيف / عكا)، رحمه الله، إلى أن ترك الكلية في أواخر عقد الثلاثينات. وبقي المدير من دون مساعد رسمي إلى أن عُيِّن في هذا المنصب الأستاذ عبد الرحمن بشناق (قيسارية / حيفا) سنة 1946، بالإضافة إلى عمله مدرساً لمادة الأدب الإنكليزي في الكلية. ومن أبرز أفراد الجهاز الإداري السيد هنري كنيزفتش، النمساوي الأصل والغزي المولد. وكان يتولى الأمور المالية والتمويل والخدمات. كما كان إميل حماتي (الناصرية)، وقد سبق ذكره رحمه الله، يتولى مهمات السكرتارية والطباعة، وصبحي الجولاني (الخليل) يعمل مراسلاً. وهؤلاء كلهم يتقنون أعمالهم والحق يقال. ويمكن أن نلحق بالجهاز الإداري ضابط النظام في الكلية كما كان يسمى. وفي الفترة 1940 - 1944، كان يقوم بهذا العمل فخري الخطيب (اللد) الذي خلف فخري جوهري (والد الشهيد هاني وجد الشهيد فخري)، رحمه الله. قد تكون وظيفة ضابط النظام ضرورية لأن لا غنى عن الضبط والربط. لكن فخري الخطيب كان مع الأسف يعامل الطلبة إجمالاً، وهم نخبة جيلهم ومربو الجيل الصاعد، باستعلاء وبشيء من الجفاء. وطفح الكيل مع الطلبة، ذات يوم، فحدثت مشكلات وتحقيقات سنة 1945 وسنة 1946 أسفرت عن إقصاء فخري وإلغاء الوظيفة.

وكان من الذين يعملون في مجال الخدمة الطاهيان أبو جورج "السمين" طاهي الأساتذة، وأبو جورج "النحيف" طاهي الطلبة، كما كانا يعرفان. وكان مستوى الطعام في الكلية جيداً، على الرغم من أوضاع الحرب العالمية الثانية، حتى نهاية سنة 1941. وبعدها انحدر مستوى طعام الطلاب بصورة واضحة، فحلّ البرغل محل الأرز في عدة وجبات، وقلّت كمية اللحم، لكن الوضع بقي مقبولاً. أمّا طعام الأساتذة فبقي

مستواه من دون تغيير، كما ونوعاً. لذلك لم نتورع ذات ليلة عن التسلل تحت جنح الظلام والتهام جزء من طعام الأساتذة الذي كان في انتظارهم عندما يعودون من سهرة لهم في مدينة القدس. و"سترها ربنا" فلم يفتح تحقيق في الموضوع. أمّا ترتيب غسيل الطلبة فقد كان يشرف عليه، وعلى غرفة المرضى، سيدة محترمة هي "أم جورج" (لا علاقة لها بأبوي جورج سالفى الذكر)، وتساعدنا امرأة أخرى نسيت اسمها. وعلى ذكر المرضى كانت الكلية متعاقدة مع الدكتور محمود طاهر الدجاني، رحمه الله؛ وهو طبيب عام في مدينة القدس، تبعث إليه الكلية الطلبة المرضى للكشف عليهم لقاء مبلغ خمسة وعشرين قرشاً أو ربع جنيه فلسطيني يدفعه الطالب الذي كان يدفع ثمن الدواء أيضاً. ومما نذكره بالخير للكلية أنها كانت تطعم الطلاب ضد التيفوئيد الذي كان في ذلك الوقت مرضاً قاتلاً أحياناً لأن المضادات الحيوية، مثل البنسلين، كانت عملياً غير معروفة أو في بداية استعمالها في العلاج. وكان مستوى الطلبة والأساتذة الصحي جيداً. ولم يحدث إلا وفاة واحدة في أواخر سنة 1940 أو في أوائل سنة 1941، إذ توفي الطالب عوض أبو حجر من بدو بئر السبع، وكان أعفي من الدراسة في الكلية في آخر العام الدراسي 1939/1940 لإصابته بالسل. وما زلنا نذكر أسماء ثلاثة أشخاص من قرية صور باهر القريبة جداً من الكلية وهم: "الدبش" و"العطاري" و"إبراهيم كريك"، الذي كان يقوم ببيع بعض الحلوى للطلاب بموافقة من إدارة الكلية. وكان هؤلاء الثلاثة يتعهدون الحرج والأزهار وبقيّة المرافق.

الجهاز الأكاديمي

كان مؤلفاً من معلمين مؤهلين جيداً، متخرجين من أفضل الجامعات آنذاك. ولا يتسع المجال هنا لذكرهم جميعاً، سأكتفي بذكر من عاصرت منهم، مع أنني عرفت أو بالأحرى سمعت بكثيرين غيرهم. وكان معلمو الكلية من خريجيها أحياناً، بعد أن يكونوا أكملوا دراستهم في الخارج مثل: نقولا زيادة (1924، تاريخ قديم ومتوسط)؛ محمد عبد السلام البرغوثي (1928، رياضيات ابتدائية)؛ عبد الرحمن بشناق (1930، أدب إنكليزي)؛ أحمد سليم سعيدان (1931، رياضيات)؛ فتحي أسعد قدورة (1938، فيزياء). ومنهم من لم يكن من خريجي الكلية أمثال: أحمد طوقان (رياضيات)؛ جميل

علي (رياضيات)؛ إسحق موسى الحسيني (لغة عربية)؛ محمد هادي الحاج مير (تاريخ متوسط وحديث)؛ علي حسن عودة (دين إسلامي)؛ جمال بدران (رسم وفن)؛ حبيب الخوري (لغة عربية ودين مسيحي). ولم تكن علامات درسي الدين والرسم تحسب، كما كانت هاتان المادتان تدرّسان يومي الجمعة والأحد وهما يوما عطلة، الأمر الذي كان له أثره السلبي في الطلاب الذين كانوا يتطلعون إلى وقت للترويح والاستراحة من الدراسة خلال الأسبوع ومن باقي الأنشطة.

ولا نزال نذكر أساتذتنا هؤلاء بالخير. وكنا نود أن نتناول بعضهم بالنقد والتحليل والدعابة، غير أن ضيق المجال لا يسمح بذلك. والملاحظ أن كثيرين منهم تأخروا في الزواج إلى نهايات العقد الرابع من أعمارهم بل أكثر. وواضح جداً أن انشغالهم في تحصيل العلم وبناء أنفسهم كان عاملاً رئيسياً في ذلك، كما حدث مع الأساتذة جميل علي وعلي حسن عودة وجمال بدران ونقولا زيادة وجورج خميس، الذي لم يتزوج قط. وشملت هذه الظاهرة - التأخر في الزواج - الإداريين أمثال هنري كنيزفتش وفخري الخطيب وإميل حماتي، وأعتقد أن هذا الأخير لم يتزوج قط أيضاً. أما من حيث أسلوب التعليم والإعداد للدرس فكان نقولا زيادة ومحمد الحاج مير وإسحق موسى الحسيني وعبد الرحمن بشناق وسليم كاتول ومحمد عبد السلام البرغوثي من مؤيدي إلقاء العبء على الطالب والاكتفاء بتوجيهه في إطار خطوط عريضة، بينما كان جورج خميس يجهد نفسه في الشرح، وجميل علي يتفانى بل يذوب في تدريس الرياضيات المتقدمة التي كان يعشقها، وجورج حوراني لا يزال يحير المرء في كيفية استطاعته تدريس أربع مواد دسمة، هي اللاتينية وتاريخ اليونان والرومان وعلم المنطق وتاريخ الفلسفة لطلاب أعلى الصفوف في الكلية. ولما كانت البعثات أحد المصادر الأساسية التي استمدت الكلية منها معلميها فلا بأس بتناولها بإيجاز، ولو كان إيجازاً مخللاً.

البعثات

بسبب عدم وجود جامعات أو كليات جامعية عربية في فلسطين، كان لا بد من إرسال طلبة من المتفوقين في امتحان "المترك" في بعثات الخارج، وفي الغالب إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وإلى الجامعات البريطانية، للعودة بعد التخرج والعمل

في سلك التعليم، بما في ذلك التدريس في الكلية العربية. وممن أرسلوا من خريجي الكلية، إضافة إلى من سبق ذكرهم، إسماعيل أحمد الشاهد وفريد عبد الرحمن بزازي إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وجبرا إبراهيم جبرا وموسى جبرائيل الخوري ووصفي حجاب وحلمي سمارة إلى بريطانيا. وقد توقفت البعثات خلال الحرب العالمية، لكنها استؤنفت فوراً بعد انتهائها سنة 1945. وأصبح المرشحون يُختارون هذه المرة من حملة شهادة "الإنترميديت"، أو حتى من حملة البكالوريوس أو الماجستير من الجامعة الأميركية في بيروت. ومن الذين جرى إيفادهم إلى بريطانيا على هذا الأساس: عبد الملك درويش الناشف؛ أمين توفيق الطيبي؛ وليد عرفات؛ جميل البديري؛ عرفان قعوار (عرفان شهيد - جورجيتاوان)؛ محمد خليل إبراهيم؛ فطين بولس؛ صادق إبراهيم عودة؛ إسماعيل الناظر؛ فؤاد الحاج؛ منذر الفاهوم؛ عبد الحليم عوض؛ أمين محمد الحسن؛ عيسى أمين الهندي؛ أسعد نصر؛ هشام هاشم. وإلى مصر أوفد محمود الغول ومحمود السمرة. ومن شرق الأردن تم إيفاد ناصر الدين الأسد ومحمد نوري شفيق وذوقان الهنداوي إلى مصر أيضاً. ولعل من المفيد بعد هذه الكلمة عن البعثات الاطلاع بلمحة موجزة، على سير العمل في الكلية.

يوم في حياة الكلية

يستيقظ الطلبة في السادسة من صباح كل يوم على جرس يقرعه العريف المناوب، فيهيئون أنفسهم لتناول وجبة الصباح في تمام الساعة السابعة بعد أن يكون طلاب "المنزل" - المنزل الخاص لسكن بعض الطلاب خارج الكلية - قد حضروا. وكان الطعام يقدم بحسب نظام الخدمة الذاتية، إذ يجلس كل عشرة طلاب إلى طاولة ويقوم بخدمتهم واحد منهم طوال الأسبوع بالتناوب. ثم يخرج الطلاب كلهم بعد تناول الطعام من القاعة كما دخلوا بحسب إيعاز من العريف المناوب. وفي الساعة الثامنة تبدأ الحصص التي كانت مدة واحدتها خمساً وأربعين دقيقة مع بضع دقائق بين كل حصة وأخرى. ويأخذ الطلبة خمس حصص قبل الظهر، وحصتين بعد الظهر بعد أن يكونوا تناولوا غداءهم وحصلوا على قسط من الراحة. وقد سبقت الإشارة إلى أن يومي الأحد والجمعة كانا عطلة أسبوعية. وبين الساعة الثالثة والنصف والساعة السادسة تبدأ الأنشطة الرياضية الإجبارية من كرة قدم وكرة سلة، إذ كانت لعبة كرة

المضرب على الرغم من وجود الملاعب الملائمة ترفاً لا يمارسه إلا قلة من الطلبة والأساتذة. وفي الساعة السابعة مساءً، بعد تناول العشاء في السادسة، تبدأ الدراسة الإلزامية أو "الاستعداد"، كما كانت تسمى، حيث كان الطلبة يدرسون ساعتين كل ليلة بإشراف عريف من عرفاء الكلية الذين سبقت الإشارة إلى كيفية اختيارهم. وكان ضابط النظام يختار العرفاء من طلبة أعلى صف، وكانوا يتولون، طوال العام الدراسي، الإشراف على الطلبة في أثناء الدراسة الإلزامية وفي أثناء النوم. وقد كان لكل غرفة نوم (خمس غرف تتسع أربع منها لاثني عشر طالباً وواحدة لأربعة وعشرين طالباً، إضافة إلى طلبة "المنزل" الذين كانوا ينامون فيه كما أشرنا) عريف خاص بها. بينما كان يتولى عملية توقيت الحصص والأنشطة الإلزامية، بصورة دورية، عريف منهم مناب طوال الأسبوع. وبعد التاسعة مساءً بقليل يخلد الطلبة إلى النوم، وتمنع الدراسة وغيرها من الأنشطة حتى صباح اليوم التالي.

الأنشطة اللامنهجية

كانت حياة الكلية تشوبها الضبغة شبه الرسمية والرقابة والعزلة النسبية بسبب بعدها عن وسط مدينة القدس وإلزام طلبتها - حتى أبناء القدس منهم بالعيش داخل الكلية نفسها، على الرغم من أن موقع الكلية هذا قد أكسبها ميزة مهمة في بعدها عن حركة المدينة وضوضائها، إذ وفر جواً ممتازاً للدراسة. لكن الأنشطة اللامنهجية كانت أمراً لا بد منه. وقد أشرنا إلى الأنشطة الرياضية الإلزامية، وهي لعبة كرة القدم و لعبة كرة السلة اللتان كان يمارسهما طلبة الكلية جميعاً. كما كان للكلية فريقها (كرة القدم) الذي يباري المدارس والمؤسسات الأخرى، ومن أبرز لاعبيه في فترة 1940 - 1944: محمد خليل إبراهيم حارس المرمى؛ جميل علي الصالح أبو الرب ومحمود يوسف زايد ظهيرا الدفاع؛ محمد حسن الصفوري قلب الهجوم (على ما أذكر)؛ حسن أبو ميزر جناح الهجوم الأيسر. كما كانت الكلية تشارك في يوم الميدان السنوي الذي كان يعقد للواء القدس على ملاعبها برعاية المندوب السامي أو المدير العام للمعارف. وأبرز مشاركات الكلية كان سباق الميل الذي فاز فيه الطالب منذر إبراهيم الفاهوم بالجائزة الأولى أكثر من مرة. وذلك إضافة إلى عرض رياضي جميل يقوم به طلاب الكلية على أنغام الموسيقى.

أما الأنشطة الترفيهية الأخرى فكانت محدودة، إذ لم يكن التلفاز والفيديو والستيريو... إلخ معروفة في تلك الأيام. وكان الجهاز الوحيد المتاح هو الغراموفون أو الفونوغراف بأسطواناته السود المعروفة، والذي يدار باليد لا بالكهرباء ومكانه في قاعة الطعام الرئيسية، وعليه لوحدة صغيرة من النحاس نقش عليها أنه هدية من آرثر واكبوب، المندوب السامي خلال 1931 – 1937. أما الأسطوانات التي أذكرها فكانت: "عندما يأتي المساء": "يا وابور قلبي رايح على فين": "يا شراعاً وراء دجلة يجري": "ختم الصبر بعدنا بالتلاقي": "ويا ما أرق النسيم": "يا ليل الصب متى غده". كما كان هناك مذياع يتيم في كوخ يقع شرقي مبنى الكلية ويضم طاولة معدة للعب كرة الطاولة، وكان يتردد إليه الطلبة في أوقات الفراغ للعب ولسماع المذياع الذي كان معظم بثه يتعلق بأخبار الحرب العالمية الثانية. ولم يكن يسمح للطلاب بمغادرة الكلية في عطل نهاية الأسبوع (الجمعة والأحد) إلا إذا أرادوا الذهاب إلى مدينة القدس بضع ساعات لقضاء بعض حوائجهم الشخصية من حلاقة وغيرها. وكان صالونا الحلاقة المفضلان لدى طلاب الكلية هنا "صالون الوعري" و"صالون حمودة". كما كانوا يذهبون إلى السينما أحياناً في مجموعات بإشراف الكلية. ولم يسمح للطلاب بالذهاب إلى بلداتهم إلا في العطل، وهي عطلة الشتاء (أواخر كانون الأول / ديسمبر وأوائل كانون الثاني / يناير) وعطلة الربيع (نيسان / أبريل)، ومدة كل منهما نحو عشرة أيام، وعطلة الصيف (تموز / يوليو وآب / أغسطس وأيلول / سبتمبر).

ولا يفوتنا ذكر الرحلات التي كان بعضها قصيراً ينحصر في المناطق المحيطة بالقدس، لكنه ممتع جداً، ولا سيما أنه كان يتم سيراً على الأقدام وخلال يوم واحد. هذا بالإضافة إلى رحلات أطول كان يذهب فيها الطلاب بالحافلات إلى البحر الميت وغور الأردن ودير القُرْنَطْل، أو إلى بئر السبع وغزة ومجدل عسقلان. وكان الطلبة يعودون مساء اليوم نفسه. كما سمعنا عن رحلة تاريخية إلى إمارة شرق الأردن سنة 1940 استغرقت أسبوعين وغطت الإمارة ابتداء من البتراء جنوباً. وفي ربيع سنة 1944 كان هناك استعدادات لزيارة مصر، لكن هذه الزيارة ألغيت آخر لحظة.

ومن الأنشطة الثقافية كان هناك محاضرات خارج الكلية، أذكر منها محاضرة للبروفسور ألبرت حوراني رحمه الله، نسيت عنوانها، وأخرى للدكتور نقولا زيادة عنوانها "Ideas and Ideals of Young Arabs".

أما زوارنا فكان منهم: الدكتور محمد عوض محمد من مصر؛ الدكتور بول كراوس من جامعة القاهرة وهو متخصص باللغات السامية، وقد سمعنا أنه مات منتحراً بعد ذلك بوقت ليس طويلاً؛ البروفسور أيزاكس (Isaacs) أستاذ اللغة الإنكليزية في الجامعة العبرية، وقد حدثنا عن الإيقاع الموسيقي في اللغة والشعر؛ السير رونالد ستورز (Ronald Storrs) أحد دهاقنة السياسة البريطانية وحاكم القدس في بدايات عهد الانتداب، إن لم تخني الذاكرة، وقد حدثنا في محاضراته عن الروايات البوليسية (Detective Stories!!!). كما زارنا المرحوم أحمد الصافي النجفي وألقى بعض قصائده، ومنه قصيدة ضادية. وحكاية "الضاد" مع الأشقاء العراقيين ومع كثيرين من العرب الآخرين معروفة بتحويلها إلى "ظاء". وقد اغتنم محمد يوسف نجم أول فرصة (وكان مغرمًا بتقليد الآخرين) ليقلد الأستاذ النجفي فارتدى ثوباً أبيض واعتمر كوفية وعقالاً وأخذ في إلغاء "ضادية" المجفي باللهجة العراقية!! وكانت تعقد في مناسبات قليلة أمسيات ثقافية محلية يشارك فيها طلاب الكلية ويحضرها الأستاذ الخالدي.

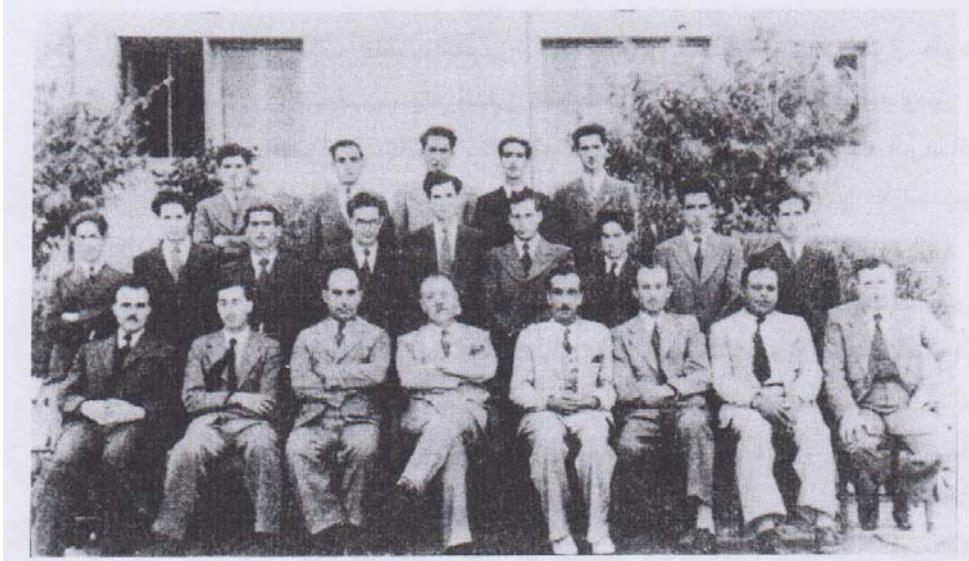
ومن المفيد التطرق إلى ذكر من علموا في الكلية العربية منذ نشوئها، وهو أمر ربما يطول شرحه، وقد أتينا إلى ذكر الكثيرين منهم في الصفحات السابقة. وفي دراسة الدكتور هشام نشابه، جزاه الله خيراً، غنى في هذا المقام ولا سيما أنه استقى بدوره من مذكرات الأستاذ الخالدي المخطوطة: "فلسطين كما عرفت". ويكفي أن ننقل عن الدكتور نشابه أسماء بعض الأساتذة من العرب الفلسطينيين، مثل خليل السكاكيني وخليل طوطح ومصطفى مراد الدباغ وضياء الدين الخطيب ودرويش المقدادي، ومن غير الفلسطينيين جبرائيل كاتول وشقيقه سليم من لبنان ومعروف الرصافي من العراق، ومن البريطانيين ستيوارت بيرون وجون أتنبره والسير فرانسيس أشلي.⁸

ويصعب الحديث عن طلاب الكلية وما صاروا إليه بعد تخرجهم منها، وذلك بسبب تشتتهم في أصقاع الأرض وانتقال الكثيرين منهم إلى الدار الآخرة، لكن ذاكرتي ما زالت تحفظ أسماء عدد كثير منهم وأسماء المدن والقرى التي ينتمون إليها، إذ أستطيع أن أسرد قائمة بأسماء نحو 90% من مجموع طلبة الكلية في عام

⁸ المصدر نفسه، ص 147 - 149.

1940/1941، وهو أول عام دراسي لي فيها. وتشمل القائمة أسماء الطلبة ابتداء من الصفين الأول والثاني الثانويين الذين كانوا يدرسون في الرشيدية ويعيشون وينامون في الكلية، وانتهاء بطلبة الصف السادس الثانوي آخر الصفوف.

وفيما يلي الأسماء التي أذكرها من معاصريّ في الكلية (1940 – 1944) ومن كان



تموز/يوليو ١٩٤١

أساتذة الكلية العربية في القدس
وطلاب الصف السادس الثانوي

الأساتذة:

- الصف الأول من اليسار إلى اليمين: محمد عبد السلام البرغوثي؛ د. جورج حوراني؛
د. محمد هادي الحاج مير؛ أحمد سامح الخالدي (المدير)؛ جميل علي؛ روبرت كفلكنتي؛
فخري الخطيب (ضابط النظام)؛ جورج خميس.

الطلاب:

- الصف الثاني من اليسار إلى اليمين: وليد نجيب عرفات (نابلس)؛ إحسان رشيد عباس
(عين غزال/حيفا)؛ أحمد حسين الحاج (علما/صفد)؛ محمد زيد الكيلاني (نابلس)؛ نعيم نافع
عنتاوي (نابلس)؛ محمد سالم عبد الوالي الجندي المومني (عجلون)؛ شفيق محمد يونس
(عرعة/حيفا)؛ حسني عيد حبيب (الناصره)؛ حسين ثوابته (؟).
- الصف الثالث من اليسار إلى اليمين: رشدي ذيب شاهين (نابلس)؛ سعدي مراد الخياط (نابلس)؛
أحمد عبد المحسن العناني (حاحول/الخليل)؛ جميل حنا بنورة (بيت ساحور)؛ محمد حنونة
(الفالوجة؟).



تموز/يوليو ١٩٤٤

أساتذة الكلية العربية في القدس
وظلاب الصف السادس الثانوي

الأساتذة:

- الصف الأول من اليسار إلى اليمين: هنري كنيزفتش (المسؤول الإداري والمالي)؛ يحيى شفيق رضا؛ د. جورج حوراني؛ سليم كاتول؛ د. إسحق موسى الحسيني؛ أحمد سامح الخالدي (المدير)؛ د. محمد هادي الحاج مير؛ عبد الرحمن بشناق؛ د. نقولا زيادة؛ فخري الخطيب (ضابط النظام).

الطلاب:

- الصف الثاني من اليسار إلى اليمين: فطين يوسف بولس (كفر ياسيف/عكا)؛ علي صالح جبريل (مجدل عسقلان)؛ صادق إبراهيم عودة (جت/نابلس)؛ أحمد مصطفى أبو حاكم (العباسية/يافا)؛ نايف نمر خرما (صفد)؛ ميشيل منعم مزاري (الناصرية)؛ عرفان عارف قعوار (اسمه الآن عرفان شهيد) (الناصرية)؛ علي صادق رستم (عكا)؛ جميل عارف البديري (القدس).

قبلي مع سنوات تخرجهم منها في الحالات التي تساعد الذاكرة في حفظها: نقولا زيادة (الناصرية، 1924) المؤرخ والكاتب المعروف؛ محمود سليمان العابدي (عصيرة الشمالية/ نابلس، 1927) الكاتب والمؤرخ والمربي وعالم الآثار؛ إحسان عباس (عين غزا/ حيفا، 1941) المحقق والناقد والمترجم والمؤلف؛ أحمد سليم سعيدان (صفد، 1931) عالم الرياضيات وخبيرة التعريب؛ جبرا إبراهيم جبرا (بيت ساحور أو بيت لحم، 1937 أو 1938) الأديب والروائي المرموق؛ عبد اللطيف الطيباوي (الطيبة/ طولكرم) المربي والمؤرخ؛ عبد الله الريماوي (بيت ريما/ رام الله) المربي والسياسي؛

توفيق عبد اللاه الصايغ (طبرية، 1943) الباحث الجاد والشاعر والمؤرخ؛ خيرى حماد (نابلس) الإعلامي والمترجم والكاتب؛ عرفان قعوار أو عرفان شهيد (الناصرة، 1944) المؤرخ والمحقق الموسوعي؛ فطين يوسف بولس (كفر ياسيف/ عكا، 1944) عالم الذرة؛ أمين عبد الكريم موافي (قلقيلية، 1942) أستاذ الرياضيات الجامعي المتميز؛ محمود يوسف زايد (عنبتا/ طولكرم، 1943) المؤرخ) محمود علي الغول (سلوان/ القدس، 1942) المربي والخبير بلغات جزيرة العرب؛ محمد يوسف نجم (مجدل عسقلان، 1943)، وعبد الرحمن عبد الوهاب ياغي (المسمية، 1943)، ونايف نمر خرما (صفد، 1944)، وكل من هؤلاء متميز في مسيرته الأكاديمية؛ أمين فارس ملحس (نابلس، 1942) كاتب وأديب معروف؛ محمد الشيخ سالم فياض (كرتيا، 1942) الأول في "المترك" سنة 1940 والعالم الذي عمل مع المنظمات الدولية؛ أسعد يوسف نصر (الناصرة) الأول في "المترك" سنة 1945 ورجل الأعمال الإداري والمدير السابق لشرطة طيران الشرق الأوسط؛ بدر سعيد الفاهوم (الناصرة، 1935؟) الاقتصادي والمصرفي؛ عبد الرزاق اليحيى من مسؤولي منظمة التحرير؛ حامد أبو ستة (بئر السبع، 1944) مسؤول في منظمة التحرير؛ محمود داود السمرة (الطنطورة/ حيفا، 1945) باحث ورئيس جامعة ووزير في الأردن؛ أحمد يوسف الحسن (أم الفحم/ جنين، 1942) مهندس ووزير ورئيس جامعة متميز في سورية؛ راجح محمد الأمين (الطنطورة/ حيفا، 1943) مهندس كيماوي مرموق وأحد مؤسسي بنك الإنماء الصناعي الأردني؛ ناصر الدين الأسد (عمان، 1943) وزير وباحث وعالم ورئيس جماعة ودبلوماسي ورئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت/ عمان)؛ محمد وري شفيق (عمان، 1945) مربّ ووزير وإداري متميز ورئيس سابق لعدد من المؤسسات العامة الكبرى الأردنية؛ منصور فريد الأرملي (حيفا، 1944) من أبرز أطباء العيون في الولايات المتحدة؛ حلمي سمارة (طولكرم) عالم رياضيات وخبير مستشار لشركات النفط؛ جميل عارف البديري (القدس، 1944) مربّ

ورجل أعمال ناجح. وأكتفي هنا معذراً لآخرين لم أذكرهم إمّا لجهلي بأحوالهم، وإمّا لضيق المجال في هذا المقال. وعلى الرغم من التجاوز الفاضح للحد المرسوم لعدد كلمات هذا المقال، فإنه لا يمكن اختتامه من دون الإشارة ولو ببضعة أسطر إلى شخصيتين كانت لهما بصماتهما على مسيرة الكلية هما الأستاذ أحمد سامح الخالدي مدير الكلية، رحمه الله، والمستتر جيروم فرل المدير العام للمعارف (193؟ - 1946).

يوجد صورة ص 184 وصورة ص 185

أمّا الأستاذ الخالدي (أبو الوليد) فتأتي مكانته الخاصة في هذا المقام من حبه للتربية كمهنة، وطول مدة عمله في الكلية، الأمر الذي فسح له مجال المساهمة في تطويرها من معهد لتخريج معلمي المدارس الابتدائية إلى معلّم تربوي وأكاديمي مرموق، إذ أوشتت الكلية أن تصبح نواة جامعة لولا نكبة 1948. وفي إدارته الكلية كان واعياً طيب القلب وحازماً مهّاب الشخصية ومتفانياً في العمل، مؤلفاً ومترجماً نشيطاً في العلوم التربوية وباحثاً في مجالات أكاديمية أخرى، إضافة إلى رئاسة بعض المؤسسات الاجتماعية الإنسانية مثل "لجنة اليتيم العربية العامة"، وهي مؤسسة تربوية زراعية تعنى بشؤون أيتام شهداء الثورة الكبرى أسسها في قرية دير عمرو قرب القدس. وعندما أسند إليه، إضافة إلى عمله، منصب المساعد الفني للمدير العام للمعارف أصبح من المستحيل عليه القيام بكل الأعباء التي أثقلت كاهله، الأمر الذي اضطره إلى توزيع مهماته التدريسية منذ سنة 1942، وجزء من مهماته الإدارية

منذ سنة 1946. ولديّ انطباع بأن السيدة أم أسامة (عنبرة سلام الخالدي) كانت عضداً ومكماً وريفاً لقرينها أستاذنا أبي الوليد في جهوده المشكورة ومسايعه المبرورة. والأخ وليد من أبناء جيلنا ما زلنا نذكر له رفعة أخلاقه وهدوءه وانكبابه على الدراسة بكل جد واجتهاد. أمّا الأخت سلافة، شقيقته، فبكل صراحة لم تكن القيم والتقاليد تسمح بالتحدث إليها. وأمّا أسامة ورندة وطريف فكانوا صغاراً.

وكما سبق أن قلنا، كانت الشخصية الثانية في مسيرة الكلية هي المستتر جيروم فرل، المدير العام للمعارف، الإيرلندي المنبت، والكاثوليكي المذهب، والكمبردجي الدراسة، والعسكري النزعة إذ خدم في الحرب العالمية الأولى خلال 1914 - 1918،

والإداري الحازم الصارم، والكلاسيكي المنحى، والأعزب المتبتل الذي تزوج العلم والعمل معاً. وكان له وزنه الخاص بين زملائه مديري الدوائر البريطانيين الذين كانوا في منزلة وزراء في دوائرهم. وتسلم منصبه من سلفه همفري بومن في النصف الأخير من عقد الثلاثينات وسلمه إلى خلفه بيرنارد دو بنسن (B. De Bunsen) وقد انعكست شخصية فرل على الكلية، التي كان يوليها الكثير من اهتمامه ويكثر من زيارتها على الرغم من مشاغله. كما قام بدور كبير في تطويرها، وخصوصاً في عملية التشعيب إلى قسمين، علمي وأدبي، سنة 1939، وفي فتح صف سادس ثانوي وإدخال امتحان "الإنترميديت". كذلك وضع منهاج المواد الأكاديمية للقسم الأدبي، على الأقل للصفين الخامس والسادس، فقد أدخل في الامتحان المذكور مباحث المنطق وتاريخ اليونان والرومان والفلسفة واللغة اللاتينية. وطالما تساءلنا، أنا وغير، عن جدوى دراسة اللغة اللاتينية الميتة، وجاء الجواب متأخراً جداً. فقبل نحو عام وجهت السؤال إلى الأستاذ حسن الكرمي في أثناء زيارة قمت بها له، فأجاب بأن فرل قابل ذات مرة الدكتور طه حسين، رحمه الله، وبسبب قصور فرنسية فرل وقصور إنكليزية الدكتور طه، فقد قام الأستاذ الكرمي بالترجمة بينهما. وبدا أنهما متفقان على أهمية اللغة اللاتينية في نقل نتاج الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، الأمر الذي شجع فرل، على ما يبدو، على إدخال اللغة اللاتينية في مناهج التعليم العالي الفلسطيني بدل الفرنسية أو الألمانية أو غيرهما من اللغات الحية المتداولة على نطاق واسع.

والآن بعد الانتهاء من هذه المحاولة التي ربما لم تبلغ هدفها في نقل صورة كاملة للكلية العربية، لا بد من وقفة تأمل بالغة القصر إن لم تكن خاطفة. نعم لقد كان للكلية العربية مكانتها للأسباب التي ذكرنا، ولها بصماتها الواضحة على شخصيات طلابها بما زودتهم من علم ومعرفة، وهم ذوو عقليات جيدة وفي مرحلة من العمر قادرة على التقبل والاستيعاب، كما منحتهم ثقافة وإطلاعاً ومعرفة وآفاقاً واسعة. وإذا كانت قد قصرت في تزويدهم ما يكفي من علم ومعرفة عن تاريخ أمتهم وحضارتها فتلك سياسة حكومة الانتداب. كذلك كان في إمكان أساتذة الكلية أن يكونوا أكثر اقتراباً من طلابهم خارج الحصة، وأن يحظى الطلبة بمعاملة أفضل من ضابط نظام الكلية. لكن الحصيلة النهائية هي أن ما قدمته الكلية إلى أبنائها، ومن خلالهم إلى أمتهم، يجعل تجاهلها ضرباً من ضروب الجحود ونكران الجميل اللذين لم يساورا أياً منهم على الإطلاق. فهي عندهم نبع ثرّ من ينابيع الحنين إلى الماضي،

ومصدر سخي لذكريات الصبا. وأهم من هذا وذاك، هي جزء غال من الوطن الذي ضاع وهيهات.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>